

سلسلة كيف تصبح عالماً: الدرس الرابع ج ٣

الكاتب: د راغب السرجاني



كيف تصبح عالماً؟

الدرس الرابع: الإسلام وعلوم الحياة ج ٢

أ. د. راغب السرجاني

دور طلاب العلم والأساتذة

سؤال أحد الإخوة: ما هو دور الطلاب والأساتذة والخريجين في الكليات النظرية؟ يعني: كل ما ذكرناه من براءة اختراع وتصنيع وغير ذلك، فطالب يقول لي: أنا في الآداب فهل بإمكانني أن أنفع الأمة وأخوض في هذا العلم، أم غير الكلية؟ أم ماذا أعمل؟

فقلت له: أنت في أي قسم في الآداب؟ فقال: في قسم التاريخ، قلت له: أنت على ثغرة -لو تعرف قيمتها- من أهم الثغرات التي طعن فيها المسلمون أكثر من طعنة.

التاريخ مزور تمام التزوير، وإن شاء الله في هذه المحاضرات سيكون لنا محاضرة بعنوان: روائع الحضارة الإسلامية العلمية، ستكتشفون أنا لم ندرس شيئاً عن تاريخنا، وأن كل الذي عرفناه عن تاريخنا مجرد صراعات وخلافات وانقلابات ومؤامرات وأمور من هذا القبيل، ومعظمها مزورة.

فدور إخواننا في الكليات النظرية أن يبدعوا في هذه المجالات، كل في مجاليه، فكلية الآداب فيها قسم تاريخ، وهذه ثغرة رهيبة؛ لأن هذه الكليات في العموم فيها الكثير من العلمانيين، وهناك رسالة ماجستير رفضت في إحدى الجامعات المصرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم في السيرة النبوية؛ لأن مراجعها ومصادرها إسلامية ليست غريبة، فعندما أتكلم على الرسول صلى الله عليه وسلم مطلوب مني أن آتي بمرجع فرنسي وألماني وإنجليزي ولا ينفع أن آتي بمرجع علماء المسلمين؛ لأن هذا تخلف، ورفضت فعلًا الرسالة إلى أن عدل المراجع وأتي بالمراجع الغربية والشرقية، فنحن بحاجة إلى أن نغزو هذه الأماكن ونغير من هذه العلوم، ونضع المعايير الشرعية الإسلامية لدراسة التاريخ وغيرها من الفروع.

أيضاً في كلية الآداب قسم لغات، وهذا قسم في غاية الأهمية، من يصل بالإسلام الصحيح وبالشرع الحنيف وبالتاريخ المنضبط إلى الروس وإلى اليهود وإلى الأسبان وإلى كذا وكذا من البلاد الأعجمية؟ من يصل إليهم إن قصر في ذلك أبناء الأمة الإسلامية، أو علماء الأمة الإسلامية.

إذاً: أنت عليك أن تتعلم هذه اللغة وأن تتقنها كأهلها، كزيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه فقد تعلم اللغة العربية والسريانية وأتقنها.

ثم عليك أن تتحرك بالعلوم النافعة إليهم، وتعرفهم دين ربنا سبحانه وتعالى وتقيم حجة الله عز وجل على عباده، هذا دور في غاية الأهمية لإخواننا الطلاب في هذا القسم قسم اللغات.

وقس على هذا علم النفس، تجد معظم العلماء في علم النفس إما يهود وإنما علمانيون وإنما ملحدون وإنما غير ذلك، وهذا للأسف الشديد شيء خطير جداً، وأسس علم النفس على أيديهم وانتقل بعد ذلك إلى كل الأرض بما فيها أمة الإسلام، مع أن علم النفس له أسس في منتهى القوة والوضوح في كتاب ربنا، وفي سنة حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وفي حياة الصالحين من أبناء الأمة، وفي علماء المسلمين.

كذلك علم الاجتماع، علم كذا، فالكلية كلها من أولها إلى آخرها تستطيع أن تكون فيها مبدعاً وعالماً من العلماء، ومخترع علم الاجتماع هو ابن خلدون رحمه الله فهو الذي ابتكره من الأساس، ونسب إلى الفرنسي ديكارت بعد ذلك ظلماً وعدواناً، لكن -كما قلنا- الذي اخترعه وابتكره وأول من كتب فيه هو ابن خلدون رحمه الله.

وهذا سؤال آخر حساس من أحد طلبة كلية الحقوق يقول فيه: إنه يعرف شخصاً ترك الكلية؛ لأن الكلية تدرس أموراً مخالفة لشرع الله عز وجل، تدرس قوانين وضعية، فمن ثم ترك الكلية تائماً أن يكون من الدارسين لها، ولو أكملت دراستي في الكلية فليس معقولاً أن أحضر دراسات في الكلية في العلوم التي هي قوانين وضعية مخالفة للشريعة؟

أقول: إن كلية الحقوق تخرج لنا كل سنة (7000) طالب أو (10000) أو (20000)، والشيخ الذي يقول: إن على الطلبة الملتحقين ألا يدخلوا هذه

الكلية وأشباهها، وهذا الكلام موجود ي قوله بعض الناس، يقولون: ما دام الشخص التزم فعليه أن يترك الكلية، أقول: أنت عندما تحصل لك مشكلة في البلد: مشكلة قضائية مع جارك، أو مشكلة مع رئيسك في العمل، أو مشكلة في أي شيء مَاذا ستعمل حينها؟ ستذهب إلى محام قد لا يتقي الله عز وجل، وقد يدلس ويكتذب، وقد يفعل كذا وكذا، فهل نحن لسنا محتاجين لمن يراعي رينا سبحانه وتعالى في هذا المكان، ويحافظ على حقوق المواطنين الذين يعيشون في هذا البلد؟! نعم نحن بحاجة إلى ماهر في هذه الوظيفة يدافع عن المظلومين، أنسنا نظم بصفة عامة في هذه الحياة؟ مليون مرة يحصل الظلم، سواء على مستوى كبير أو صغير، أو مستوى جارك، أو مستوى حكومي أو فردي.

إذاً من الذي يرد لك هذا الحق؟ ما دام لا يوجد قانون شرعي (100%) كشرع الله عز وجل فهل أترك أرضي لمن يأخذها ولا أتكلم؟ ويأخذ فلان داري فلا أتكلم؟ ويصدمني آخر بسيارته فلا أتكلم؟ ويخرجني هذا من عملي فلا أتكلم؟ ويعتقلني شخص فلا أتكلم؟ هذا لا ينفع، لا بد أن تذهب إلى شخص يخرجك من هذه الأزمة ومن هذه المشكلة، فهذه ثغرة محتاجة لشخص عنده ضمير وعنه علم وتقوى لله عز وجل؛ لكي يسد هذه الثغرة.

نعم قد يقول قائل: ليس في يدي أن أغير قوانين البلد، نقول: أنت في يديك أن تكشف الأوراق، فأنا لا أعرف كل بنود الدستور الوضعية، ومخالفة هذه البنود للشريعة، وقوة حجة الشريعة في مواجهة هذه القوانين، لكن المتخصص يعرف.

وأذكر لكم كتاب (التشريع الجنائي الإسلامي) للشهيد عبد القادر عودة، هذا من أروع ما كتب، وعبد القادر عودة رحمه الله أعدم في هذا البلد، وعبد القادر عودة كان من خريجي كلية الحقوق، وكان قاضياً، وكتب الكتاب الذي أثبت فيه بالأدلة والبراهين والحجج الدامغة أن شرع الله عز وجل لا يقارن بغيره من القوانين الوضعية، فأصبح الكتاب إضافة في منتهى القوة للمكتبة الإسلامية وللأممة الإسلامية بصفة عامة، ليس في مصر وحدها، ولكن في عموم العالم الإسلامي، وليس في زمانه فقط، بل وإلى يوم القيمة، والكتاب

موجود ومحفوظ وسائل الله أن يجعله في ميزان حسناته، وألف كتاب (الإسلام وأوضاعنا السياسية) و(الإسلام وأوضاعنا القانونية) وهذا الدين بين كيد أعدائه وجهل أبنائه فهو أضاف إضافات في منتهى القوة في تخصصه.

لو عندنا عالم قانون في مجال الاقتصاد يستطيع أن يقيم الحجة الدامغة أن الربا مهلك، عالم واحد في الاقتصاد والقانون قرأ القوانين الدولية، وقرأ قانون الاقتصاد الموجود في بلادنا، والموجود في العالم، والموجود في التاريخ، والموجود في الواقع، ويعرف القانون الاقتصادي في الشريعة الإسلامية، ويقوم بعد ذلك بالدراسات المقارنة، فيقييم الحجة على عباد الله عز وجل، يقول كلمة حق في المدرج، بدل ما يصبح المدرج علمانياً يصبح المدرج إسلامياً، يقول لهم: والله عندكم في الدراسة كذا كذا وهذا يخالف شرع الله، وهذا يتافق مع شرع الله، ألا نحتاج إلى واحد بهذه الصورة.

إذَا: نتمنى أن تتحول كلية الحقوق بكمالها إلى كلية قوانين شرعية، نعم، لكن أنا أسدد وأقارب كما ذكرت.

هل العلوم الدنيوية علوم شرعية؟

ذكرنا في الدرس السابق أن العلوم الحياتية من العلوم الشرعية، وذكرنا خمسة أدلة:

الأول: أن الله عز وجل خلق الإنسان على الأرض وأمره أن يعمرها وينشئها ويبعد فيها، قال عز وجل: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" [البقرة: 31]، وذكرنا هذه الأسماء وقلنا: هي علوم حياته: هذا جبل، وهذا سهل، وهذه شجرة، وهذا بحر، وما إلى ذلك.

الدليل الثاني قوله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي" [المائدة: 3] يعني: قد اكتملت العلوم الشرعية، ولم تكتمل بعد العلوم الحياتية، والمسلمون يحتاجون إلى الخوض في هذا المجال والتعلم فيه، كما قال ربنا: سَرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ [فصلت: 53].

الدليل الثالث: أن الكثير من قضايا الفقه لا يمكن أبداً الإفتاء فيها بحق وتعلم إلا في حال وجود متخصص في المجال الحيادي، يعني: متخصص في العلوم الطبية، أو متخصص في العلوم الاقتصادية؛ لكي يعرف الفقيه أن يصدر حكمًا صحيحًا لابد من أهل التخصص يشرح له القضية شرحاً وافياً.

الدليل الرابع: ما البديل لفشل الأمة الإسلامية في العلوم الحياتية؟! هل البديل أن نعتمد على غيرنا فنستورد كل شيء؟! وهل تقوم أمة على أكتاف غيرها؟! بل هل تقوم أمة على أكتاف أعدائها؟! فمعظم الاستيراد يأتيانا من بلاد محتلة لنا، هل هذا يعقل؟! هل هذا أمر مقبول شرعاً؟ هل هذا أمر شرعى أن أكون متخلقاً في التصنيع، لدرجة أنني أعتمد على عدوى في التصنيع، وأستورد منه هذه الأمور؟!

انظر إلى هذه الإحصائية: الواردات في البلد العربية: (37.7%) من واردات العالم العربي من الآلات ومعدات النقل، وأكثر من (60%) من وارداتنا تصنيع، وستجد رقمًا آخر غريباً جداً، فوارداتنا من المواد الخام (5%) يعني: بفضل الله بلادنا غنية جداً بالمواد الخام، فهي كثيرة جداً لدرجة أنني لا أحتاج أن أستورد من المواد الخام غير (5%) فقط، لكن نحن نستورد (60%) وأكثر من الأمور المصنعة، فنحن عندنا بقر فيها لبن، وعندنا أرض تخرج خيراً، لكن لا نستغل هذه الأشياء، فنجعل غيرنا يستغلها ثم يبيعها لنا بعد ذلك بعشرة أضعاف الثمن.

ثم نأتي إلى صادرات العالم الإسلامي ستتجدد (69%) من صادرات العالم الإسلامي من البترول، ويستوردون (5%) من المواد الخام، يعني: حوالي (75%) من صادرات العالم الإسلامي من المواد الخام، فنحن نصدر المواد الخام ويسنعونها في الخارج ثم نعود لນستوردها مرة أخرى، هل يستقيم هذا الوضع؟ حتى البترول الذي نحن نصدره بكميات كبيرة من الذي يخرجه من غير تصنيع؟ شركات أمريكية، وشركات كندية، وشركات أوروبية ويأخذون نسباً رهيبة من البترول، وعقود احتكار تسعه وتسعين سنة، يعني: قصرها على نفسه وعلى أولاده وأحفاده وأحفاده، تسعه وتسعين سنة عقود احتكار في شركات استخراج البترول من هنا وهناك من أطراف العالم العربي

المختلفة.

إذاً: هذه الأرقام تحتاج إلى وقفة من المسلمين.
وتكلمنا عن السلاح، وقلنا: إننا نستورد السلاح في الغالب كله من الخارج،
لا يصنع في بلاد المسلمين، قليل جدًا من البلاد الإسلامية هي التي تصنع
السلاح، ومعظم الدول الإسلامية تستورد السلاح من أمريكا وإنجلترا وفرنسا
وروسيا، يعني: أمريكا وإنجلترا احتلتا أفغانستان والعراق ونستورد منهم
سلاحًا، وروسيا احتلت الشيشان ونستورد منهم سلاحًا، هذا شيء لا يقبل.
الدليل الخامس: أن علوم الحياة طريق لمعرفة الله عز وجل، كلما تقرأ في
الكون أكثر تعرف ربنا سبحانه أكثر، وتستطيع أن تعبد الله عز وجل عبادة
صحيحة، ولذلك يقول الله عز وجل: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"
[الزمر: 67]، يأتي الإشكال عندما لا تقدر الله حق قدره، والتبحر في هذه
العلوم يعطي لله عز وجل قدره، وما قدرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ [الزمر: 67]، عندما
أقرأ في الطب وفي الفلك وفي الجيولوجيا وأرى هذه العلوم الواسعة، وأرى
خلق الله عز وجل، وفي النبات وفي الحيوان وفي غيره أزداد تعظيمًا لله عز
وجل وعبادة له.

الكلمات المفتاحية:

#كيف-تصبح-عالما

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.